معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس المتممة الآجرومية

شرح الشيخ محمود الشيخ أبي حذيفة حفظه الله

الدرس رقم (1)

المستوى الثاني

التاريخ: الأربعاء 15 /شوال/1440هـ

19 /حزيران/2019م

الدرس الأول من شرح "المتممة الآجرومية"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾ [الأحزاب:70، 71].

.

أما بعد فإن أصدقَ الحديث كلام الله تعالى، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النار عباد الله..

مَعْلُومٌ عندنا جميعاً أن اللغةَ العربيةَ هي اللغة العظيمة التي شَرَّفَهَا اللهُ سبحانه وتعالى إذ أنزل كلامه – القرآن العظيم – بها؛ فالقرآن هو كلام الله وقد تكلم به سبحانه باللغة العربية، فهذا تشريفٌ لنا ولكل عربيٍّ أن نزل القرآنُ العظيم باللغة العربية.

ومن هنا اهتمَّ العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً بالغاً بهذه اللغة من حيث دراسة مباني الكلمة ومعانيها وبلاغتها وعلم العَروض والقوافي والنحو والصرف وكل شيءٍ يتعلق بهذه اللغة الجليلة.

وإن من أهم العلوم التي ركَّز عليها العلماء قديماً وحديثاً في اللغة العربية هو علم النحو؛ لأن هذا العلم يحتاجه كل إنسانٍ يريد أن يقرأ القرآن العظيم ويفهم معانيه ويصل إلى معانيه ويضبط لسانه فلا بد له أن يدرس هذا العلم.

فهذا العلم وهو علم النحو هو علمٌ بالأصول أو قواعد ذكرها العلماء بحيث يُعْرَفُ من خلالها مباني الكلمة وأحوالها من حيث الإعراب والبناء، لذلك قالوا: "**النحو علمٌ بأصولٍ يُعرفُ بها أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً**".

فالكلام عن آخر الكلمة، وليس عن آخر الكلمة فقط، بل عن حاله: مرفوع.. منصوب.. مخفوض.. هل هو مُعْرَب؟ هل هو مَبْنِيٌّ؟ هل الإعراب ظاهر التغيير فيه أو مُقَدَّرٌ عليه؟... وهكذا، كل ذلك صيانةً للسان العربي، وغايته الاستعانة على فهم معاني كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

لذلك عِلْمُ النحو في اللغة العربية – حقيقةً – هو أهم علمٍ لا بد لطالب العلم أن يركز عليه ويعتني به، حتى أن بعض العلماء جعله المقدمة لكل علمٍ، أو قالوا: قبل أن تدرس أي علمٍ في علم الشريعة عليك أن تتقن علم النحو، هكذا يقولون، يقولون – ليس كلهم.. البعض منهم، الشاهد أن هذا العلم علمٌ مهمٌ جداً لذلك اعتنِ به جيداً بارك الله فيك.

كتابنا هذا الذي بين أيدينا وهو «**المُتَمِّمَةُ الآجرومية**» للحَطَّابِ نسبةً إلى قبيلةٍ في مكة أو أنهم قبيلة عاشوا في مكة، هذا الرجل من علماء القرن العاشر، وُلد سَنَةَ تسعمائة واثنين للهجرة وتوفي سنة تسعمائة وأربعاً وخمسين للهجرة، فهو من علماء القرن العاشر رحمه الله تعالى.

نظر إلى المقدمة الآجرومية لصاحبها أبي عبد الله الصنهاجيِّ المعروف بابن آجروم، وعلم حاجة الناس لتلك المقدمة وأن الله سبحانه وتعالى كتب لها القبول فشرحها الكثير من العلماء، لكن كانت هي – كما قال صاحبها – مُقَدِّمَةً.. مدخلٌ لطالب العلم المبتدئ حتى يدخل في علم النحو، فأراد أن يكتب مُتَمِّمَةً أو زيادة فوائد على هذه المقدمة فكتب المُتَمِّمَة الآجرومية وجعلها أو أرادها أن تكون وسطاً بين المقَدِّمَةِ الآجرومية وبين المُطَوَّلَات من الكتب كـ«**مغني اللبيب**» و«**شرح ألفية ابن مالك**» وغير ذلك من كتب المُطَوَّلَات.

الذي يسمع أو يقرأ كلمة «**المُتَمِّمَة الآجرومية**» لعله يظن أنه جاء بشيءٍ جديد فقط على الآجرومية، أي أتمَّ ما لم يُذكر، نعم ولكن كيف هذا؟ هو حقيقةً معظم المباحث التي ذكرها صاحب المُتَمِّمَة، بل أكثرها، جلُّها موجود في الآجرومية، ولكنه أعاد صياغتها فزاد فيها فوائد ووضع فيها زيادات، حتى أنك تكاد تقرأ كلام صاحب الآجرومية بطريقةٍ أخرى، وفي بعض الأحيان تتشابه الألفاظ، ثم زاد تجد زياداتٍ نفيسة؛ فذكر «**باب العدد والمعدود**» وغير ذلك من الأبواب التي لم يتطرق إليها صاحب الآجرومية.

فكانت هذه بحق «مُتَمِّمَة»، وهو كتابٌ نفيسٌ معتمدٌ مهمٌ جداً لطالب العلم الذي يريد أن ينتقل إلى المُطَوَّلَات عليه أن يمر عليها، نصحاً له وليس من باب الواجب ولكن من باب التدرج والفائدة، أن يمر على المُتَمِّمَةِ فيأخذ معه كمَّاً عظيماً من المعلومات والفوائد التي لم يأخذها من الآجرومية.

وهكذا حقيقةً حال طالب العلم إذا أراد أن يستفيد عليه أن يتدرج ويصبر وإن كان يمشي ببطء، فالطالب المبتدئ يكفيه الآجرومية يتقنها ثم بعد ذلك ينتقل إلى المُتَمِّمَة، والذي أتقن الآجرومية سيسهل عليه جداً المُتَمِّمَة ولا يوجد شيءٌ صعب فيها.

لذلك التدرج والبناء مفيدٌ جداً لطالب العلم، والذي يريد أن يصعد السلم لا بد أن يصعد من الأسفل إلى الأعلى درجةً درجة، هكذا يصل بطريقة صحيح، ولكنه إذا أراد أن يقفز إلى أعلى مباشرة لَرُبَّمَا يتعثر ولَرُبَّمَا يتعب ولَرُبَّمَا لا يستطيع الوصول كما هو معلوم.

هذه المُتَمِّمَة – مُتَمِّمَة الآجرومية – لها شروحاتٌ عند العلماء، شرحها في «**الفواكه الجَنِيَّة**» الفاكهي نحوي معروفٌ، وله شروحاتٌ في النحو كثيرة منها شرحه في «**قطر الندى**»، وأيضاً شرحه على هذه المُتَمِّمَة، ولكن أفضل شرحٍ حقيقةً ذكره العلماء للمُتَمِّمَةِ الآجرومية هو شرح الأهدل المعروفة بـ«**الكواكب الدُرِّيَّة**»، حتى أن العلماء جعلوا هذه الكواكب هي عُمْدَةً في شرح المُتَمِّمَة؛ إذ أن صاحب الكواكب زاد على الفاكهي بالشرح وإعراب الشواهد والآيات والأمثلة وغيرها.

ندخل إلى متن المؤلف حيث قال رحمه الله:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**»،

ابتدأ بالبسملة اقتداءً بكتاب الله سبحانه وتعالى المبدوء بالبسملة، واقتداءً بسُنَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم في رسائله كان يبدأ بالبسملة وكان يبدأ خطبه بالحمدلة، وكذلك العلماء فيما بعد صاروا يبدأون كُتُبَهُم عادةً بالبسملة ومنهم من يبدأ بالحمدلة والأمر سهلٌ.

وقد جاء في ذلك أحاديث صَحَّحَهَا بعض العلماء ولا تَصِحُّ كما في الحديث: «كل أمرٍ لا يُبدأ فيه بـ: بسم الله فهو أقطع»، و«كل أمرٍ لا يُبدأ فيه بـ: الحمد لله فهو أقطع»، فهذان

الحديثان أحدهما رواه الترمذي والآخر رواه أبو داود وفيهما كلامٌ في صحتهما، وإن كان بعض العلماء يُصَحِّحُ.

قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد**»،

«وبعد» الواو تأتي مكان «أما»، تقول: «أما بعد»، وبعدها يأتي «الفاء» عادةً، وبعض العلماء أجاز حذفها.

قال: «**وبعد، فهذه مقدمة في علم العربية**»،

والمقصود: «في علم العربية» هنا: علم النحو منها؛ لأن علوم العربية كثيرة عدَّها العلماء إلى اثني عشر علماً: علم اللغة وعلم التصريف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعَروض والقوافي وغيرها.

قال: « **فهذه مقدمة**»،

«مقدمة» أي تتقدم غيرها من المُطَوَّلات،

قال: «**فهذه مقدمة مُتَمِّمَة لمسائل الأجرومية**»، على ما ذكرنا،

«**تكون واسطةً بينها وبين غيرها من المُطَوَّلات**»، هذا قصده،

«**نَفَعَ الله تعالى بها**»، من باب الدعاء،

وقال: «**نفع الله بها**» أي يدعو الله أن ينفع بها،

«**كما نفع بأصلها في الحياة وبعد الممات**»، يقر المؤلف أن الآجرومية قد نفع الله بها في الحياة؛ نفع مؤلفها ونفع الناس، وبعد الممات لمن درس الآجرومية لله فإنه سينتفع بها بعد موته وهذا هو الغالية الجليلة والمطلب السنِيّ الذي لا بد لنا أن نحرص عليها، وهذا يبين لنا أهمية إخلاص النية لله سبحانه وتعالى دائما وأبدا، وتذكر عظيم الأجر الذي ينتظرك؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»، فيوم القيامة ينتفع بهذا العمل وهو من الصدقة الجارية.

قال: «**إنه قريبٌ مجيب الدعوات**»؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:186]

قال رحمه الله: «**الكلام هو اللفظ المُرَكَّب المفيد بالوضع**»،

هذا التعريف نفسه ذكره صاحب الآجرومية عندما قال: «الكلام هو اللفظ المُرَكَّب المفيد بالوضع»، الكلام هو اللفظ.

اللفظ» **هو صوت اشتمل على حروف، قد يدل على معنى وقد لا يدل**، تقول: «زيد» » هذا لفظٌ؛ لأنه صوتٌ اشتمل على ثلاثة حروف: الزاي والياء والدال،

وتستطيع أن تقول: «ديز»، هذا صوتٌ واشتمل على الحروف نفسها ولكنه لا يدل على معنى، لكن كلمة «زيد» وكلمة «ديز» كلاهما لفظٌ.

إذاً الكلام لفظٌ لكن ليس هذا الكلام المقصود، هذا من باب التعريف،

والعلماء عادةً في التعاريف يضعون اسماً جنساً للتعريف ثم يضعون فواصل يخرجون الأشياء التي لا يريدونها، ومن هنا يقال: لا بد أن يكون التعريف جامعاً مانعاً، «جامعاً» يجمع كل أجزائه وأنواعه فيه،

و«**مانعاً**» يمنع غيره من الدخول فيه.

فعندما قال: «**الكلام هو اللفظ**»، يدخل فيه الصوت المفيد الذي يشتمل على حروفٍ وهو مفيد والصوت الذي لا يفيد،

ولكن هل هذا هو الكلام الذي يريده المؤلف؟ لا؛ لأن كذلك كلمة «زيد» كلمة واحدة، هل هذا المؤلف يريده؟ فهو يقول: «اللفظ المُرَكَّب"

إذاً لا يكون الكلام كلاماً إلا أن يكون لفظاً، ولا بد أن يكون هذا اللفظ مُرَكَّباً، ويقصد بـ«**المُرَكَّب**» أن يَتَرَكَّبَ من أكثر من كلمة، كلمتين فصاعداً،

والتركيب أنواع، وهذه مسألةٌ مهمة نحتاجها كثيراً وخاصةً في الممنوع من الصرف، ونحتاجها هنا، عندما قال: «**المُرَكَّب**»، ماذا يقصد بـ«**المُرَكَّب**»؟

المُرَكَّب من الكلام أنواع؛

هناك مُرَكَّب **تركيب إسناد** كأن تقول: «السماء صافية»، كلمتان مختلفتان تؤدي إلى معنى، كلامٌ فيه إنشاءٌ أو فيه خبر، «جاء محمد» هذا كلام، «جاء محمد»، هذا تركيب إسناد.

هناك **تركيب إضافة** تقول: «عبد الله» أضفت العبودية أو كلمة «عبد» إلى لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى، هذا يسمى «تركيب إضافة»؛ لأن كلمة «عبد الله» مُرَكَّبة من كلمتين: «عبد» ولفظ الجلالة، ولكن هذا التركيب ما نوعه؟ تركيب إضافة؛ «عبد» مضاف، «الله» مضافٌ إليه.

هناك قسمٌ ثالث من التركيب: **تركيب المزج**، يسمى: «التركيب المزجي»، أن تأتي بأكثر من كلمة فتدخلها في بعضها البعض لتعطيك كلمةً واحدةً، مثلاً كلمة «بعل» مع كلمة «بك» أدخلها العلماء أو أهل اللغة في بعضها فصارت كلمةً واحدة «بعلبك»، كلمة «حضر موت» أصلها: «حضر الموت»، وهكذا، فهذا المُرَكَّب تركيباً مزجياً.

المؤلف هنا عندما قال: « **الكلام هو اللفظ المُرَكَّب**» يريد القسم الأول المُرَكَّب تركيباً إسنادياً؛ لأن كلمة «عبد الله» مُرَكَّبة ولكن ليس هذا الكلام الذي يريده المؤلف، بل تعتبر هذه حقيقةً كلمة واحدة، وكلمة «حضرموت» وإن كانت مُرَكَّبة ولكن هي كلمة واحدة؛ لأنها مُرَكَّبة تركيباً مزجياً، فالمُرَكَّب الذي يريده المؤلف أن يكون الكلام مُرَكَّباً من كلمتين فصاعداً تركيباً إسنادياً.

قال: «**اللفظ المُرَكَّب المفيد**»، أيضاً لا يكون الكلام كلاماً ولا اللفظ كلاماً ولا اللفظ المُرَكَّب كلاماً إلا إذا كان مفيداً بحيث لا يَتَشَوَّقُ السامع لطلب المزيد، بل يحسن السكوت عنده، تقول: «جاء محمد»، كلمةٌ أو كلامٌ مُرَكَّبٌ مفيد، تقول: «السماء صافية»، كلامٌ مُرَكَّبٌ مفيد.

ولكن إذا قلت لك: «إذا جاء محمدٌ»، هذا كلام وهو لفظٌ مُرَكَّبٌ لكنه ليس مفيداً للسامع؛ لأنه ينتظر المزيد، وكأنه سيقول لك: ماذا أفعل؟ إذا جاء محمد ماذا أفعل؟، إذاً يقول المؤلف: لا يكون الكلام كلاماً حتى يكون مفيداً لفظاً مُرَكَّباً مفيداً وبالوضع.

لذلك قال: «**الكلام هو اللفظ المُرَكَّب المفيد بالوضع**»، «بالوضع» ماذا يريد «بالوضع»؟ قال بعض العلماء: «الوضع» أي الوضع العربي، أي أن يكون موضوعاً باللغة العربية فيخرج كل كلامٍ ليس بالعربية، وبعضهم قال: لا، ليس هذا المقصود من «الوضع»، بل المقصود من «الوضع» أن يكون الكلام مقصوداً، يعني يريد أن يخرج كلام النائم وكلام

الناسي، فكلاهما كلامٌ ولكنه كلامٌ غير مقصود فليس هذا الذي يريده المؤلف، والأمر سهلٌ إن شاء الله، سواء قلنا الوضع أي العربي أو الوضع أي القصد.

قال المؤلف رحمه الله: «**وأقل ما يَتَأَلَّفُ من اسمين نحو زيدٌ قائم أو من فعل واسم نحو قام زيد**»،

أي يقول الكلام لا بد أن يكون مُرَكَّباً، طيب تركيب الكلام كيف يكون؟ قال: أقل تركيبه من اسمين، «زيدٌ» اسم و«قائم» اسم، مبتدأ وخبر،

أو من فعلٍ واسم، تقول: «قام زيدٌ»، والمسألة فيها خلافٌ عند العلماء؛ هناك من يقول: بل قد يكون من حرفٍ واسم كأن تقول: «يا زيدُ»، «يا» حرف نداء و«زيدُ» اسمٌ مُنَادَى وهو كلامٌ مفيد ومُرَكَّب، فلماذا تقولون فقط من اسمين أو من اسمٍ وفعل؟ ردَّ عليهم المانعون فقالوا: إنَّ «يا» تحل محل «أُنادي زيداً»، وليست «يا» حرف فقط؛ هي جاءت محل «أُنادي»، فكأنها صارت مُرَكَّبة من فعلٍ واسمين.. فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ به.

قال المؤلف رحمه الله: «**والكلمة قولٌ مفرد**»، «الكلمة» جمع «كلام».

يقول: الكلمة قولٌ مفرد، طيب ما هو القول؟ قال العلماء: القول هو الكلام المفيد فـ«زيد» كلمة لأنها مفردة، «قولٌ مفرد»، «ديز» نعم مفردة ولكنه ليس قول؛ لأنه ليس بمفيد.. لا يعطي معنى، فالقول هو الذي يعطي المعنى.

إذاً الكلام لفظٌ، اللفظ قد يكون قولاً بحيث له معنى، وقد لا يكون قولاً، فـ«زيد» كلمةٌ أو قولٌ لأنه يعطي معنى، و«ديز» هي كلمةٌ من حيث النطق ولكن ليست قولاً، أو هي كلمة غير مفيدة، أو تستطيع أن تقول بطريقة أصح: لفظٌ غير مفيد.

فاللفظ ينقسم إلى قولٍ وإلى غير قول، القول هو المفيد وغير القول هو الذي ليس مفيدا، لذلك قال: «**الكلمة قول مفرد**» أي لفظٌ مفيدٌ مفردٌ يتكون من كلمة واحدة.

قال: «**وهي اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنى**»،

طيب نتوقف عند هذا القدرونكمل في المرة القادمة إن شاء الله تعالى،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبارك الله فيكم.